﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧﴾ [هود: 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

اقـــترانُ كـمـالِ عـلـــمِ الـلـــهِ وسعتِهِ بكمالِ قـدرتِهِ في خلقِ الكونِ، وتسييرِ العبادِ

لَمّا أثبَتَ اللّه تعالى في الآيةِ السّابقةِ بالدَّليلِ المُتَقدِّمِ كَونَهُ عَالِمًا بالأشياءِ كلِّها، أثبَتَ بهذا الدَّليلِ كَونَهُ تعالى قادرًا على كُلِّ المَقدوراتِ، وفي الحَقيقَةِ فكُلُّ واحِدٍ مِن هَذينِ الدَّليلَينِ يدُلُّ على كمالِ علمِ اللّه وعلى كمالِ قُدرَتِهِ[1]. وأيضًا: لمّا كانَ خلقُ ما منهُ الرِّزقُ، وهو خلقُ السّماواتِ والأرضِ وما بينَهما، أعظمَ مِن خلقِ الرِّزقِ وتوزيعِهِ في شمولِ العلمِ والقُدرةِ معًا، تلاهُ بهذهِ الآيةِ.

وأيضًا لمّا أخبرَ اللّه تعالى عن إحاطةِ علمِهِ وشمولِ قدرتِهِ برزقِ كُلِّ الدّوابِّ في الآيةِ السّابقةِ عَطَفَ عليها هذه الآيةَ، فإنَّ خَلقَ السَّماواتِ والأرضِ مِن أكبرِ مَظاهِرِ علمِ اللّه، وتَعَلُّقاتِ قُدرَتِهِ، وَإتقانِ الصُّنعِ، فالمَقصودُ مِن هذا الخَبَرِ لازِمُهُ، وهو الاعتِبارُ بِسِعَةِ علمِهِ وقُدرَتِهِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾: يُقالُ: بَلِيَ الثّوبُ بِلًى وبَلاءً؛ أي: خَلَقَ، وبَلاه يَبلوهُ بَلوًا، إذا جَرَّبَه واختبرَهُ، وبَلَوتُهُ: اختبرتُهُ، كأنّي أخلَقتُهُ مِن كثرةِ اختباري لهُ، وسُمِّيَ الغَمُّ بَلاءً مِن حيثُ إنّه يُبلي الجسمَ، ويُقالُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/319.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/7.

أبلى ذَلِك اليومَ بلاءً حَسَنًا إذا اجتهدَ في كرمٍ أو حربٍ، كأنَّهُ جرّبَ وامتحنَ فأظهرَ الحسنَ، وبُلِيَ فلانٌ وابتُلِيَ إذا امتُحنَ، والبَلاءُ يكونُ في الخَيرِ والشَّرِّ، والابتِلاءُ اختِبارُ شَيءٍ لِتَحصيلِ عِلمٍ بِأحوالِهِ، ومعنى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: لِيختبرَكُم[1].

2) ﴿مَّبْعُوثُونَ﴾: يدورُ المعنى المحوريُّ للّفظِ (بعث) على إثارةِ الحيِّ مِن مكانٍ يلزمُهُ بقوّةٍ فيندفع ناهضًا أو مُبتعدًا، أو على إثارةِ الشّيءِ مُطلَقًا، وقد يكونُ معه توجيهٌ إلى مكانٍ أو يكونُ من غيرِ توجيهٍ، ويَختلفُ البعثُ بحسبِ اختلافِ ما عُلِّقَ بِهِ، فَبَعَثْتُ البعيرَ: أثرتُهُ وسيّرتُهُ، وبَعثُ الرّسلِ إنهاضُهُم وتوجيهُهم، والبعثُ يومَ القيامةِ بمعنى إحياءِ الموتى وتوجيههم إلى الحشرِ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وهو الّذي خلقَ السَّماواتِ والأرضَ في ستَّةِ أيّامٍ، وكانَ عَرشُهُ على الماءِ قبلَ أنْ يخلُقَ السَّماواتِ والأرضَ؛ لِيختبرَكم، فينظُرَ أيُّكم أحسَنُ له طاعةً وعملًا، ولَئِن قلتَ - أيّها الرّسولُ - لِلمُشركينَ: إنَّ اللّه سَيبعَثُكُم يومَ القيامةِ أحياءً بعدَ مَوتِكم، لَيَقولنَّ تكذيبًا وعنادًا ما هذا الّذي تقولُهُ إلّا سِحرٌ واضِحٌ، يَظهَرُ لِمَن يَستمعُهُ أنَّهُ سِحرٌ، فأثبتَ اللّه تعالى في هذهِ الآيةِ أنَّهُ خالقُ العالَمِ قادرٌ نافذُ الحُكمِ بالأمرِ والنّهي، وأثبتَ الإحياءَ بعدَ الموتِ، والبعثَ، والحشرَ، حتّى يحصُلَ الثّوابُ والعقابُ يومَ القيامةِ[3].

مِن حِكمةِ خَلقِ السّماواتِ والأرضِ ابتلاءُ أعمالِ الإنسانِ في الإيمانِ والكُفرانِ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ التّعبيرِ بالضّميرِ ﴿وَهُوَ﴾:

لمّا ذَكَرَ الاسمَ الجليلَ في قولِهِ تعالى: ﴿عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، وعادَ الضّميرُ إليه في قولِهِ: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾، أعادَ ذكرَ

تقريرُ عظمةِ اللهِ في علمِهِ وقدرتِهِ مِن مَعاقِدِ الإيمانِ بجلالِهِ وكمالِهِ

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (بلو)، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (بلوي)، والرّاغب، المفردات: (بلى)، وابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 474.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بعث).

(3) ابن جرير، جامع البيان: 15/251،

الضّميرِ هنا فقالَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾؛ فالكلامُ على مُقتضَى الظّاهرِ؛ لِيشيرَ الضّميرُ إلى الأوصافِ الّتي ذُكِرَت بسببِ عودِهِ على الاسمِ الظّاهرِ الجليلِ المُقرَّرِ في ذهنِ السّامعِ؛ بمعنى: أنَّ الّذي تكفَّلَ برزقِ الدَّوابِّ كلِّها، والّذي يَعلمُ مُستقرَّها ومُستودعَها هو نفسُهُ الّذي خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ، وكانَ عرشُهُ على الماءِ؛ فيكون مجيءُ الضّميرِ على معنى استجماعِ الأوصافِ السّابقةِ واللّاحقةِ؛ لزيادةِ المَهابةِ، ولِيُفيدَ بالدّليلِ على أنَّهُ تعالى عليمٌ بالأشياءِ كلِّها، وقديرٌ على كُلِّ المَقدوراتِ.

دلالةُ التّعبيرِ بالماضي في الفعلِ ﴿خَلَقَ﴾:

خلقُ السّماواتِ والأرضِ أمرٌ ثابتٌ مُتعيَّنٌ مُتَعَيِّنٌ، فما يُبنَى عليه ثابتٌ كذلك

لم يأتِ مَعَ السّماواتِ والأرضِ مِن مادَّةِ الخاءِ واللّامِ والقافِ إلّا الفعلُ الماضي (خلقَ)؛ لدلالةِ الفعلِ على الواقعِ الثّابتِ المُتعيِّنِ مِن شأنِ السّماواتِ والأرضِ، بمعنى: أنّهُ مَقطوعٌ بوقوعِهِ بدليلِ المُشاهدةِ فيكونُ المبنيُّ عليه قطعيًا ثابتًا كذلك[1].

سرُّ جمعِ لفظِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وإفرادِ لفظِ ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾:

السّماواتُ مختلفةُ الطّبائعِ والآثارِ، مَعَ الأرضِ ذاتِ البحارِ والأنهارِ

جمعُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ دونَ ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾؛ لِلإيذانِ بأنَّها أجرامٌ مُختلفةُ الطّبائعِ ومُتفاوتةُ الآثارِ والأحكامِ، فهي مُختلفةٌ بالأصلِ والذّاتِ دونَ الأرضِ، كما أنَّ الجمعَ في سياقِ المدحِ يفيدُ زيادةً في التّعظيمِ[2].

الغرضُ مِن تقديمِ لفظِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على لفظِ ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾:

آثارُ قدرةِ اللهِ في السّماواتِ أظهرُ مِنَ الأرضِ وأعجبُ

في قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ قَدَّمَ السّماواتِ على الأرضِ؛ لِشرفِها وعلوِّ مكانِها، ولِتقدُّمِ وجودِها، كما أنَّ آثارَ قدرةِ اللّه تعالى فيها أظهرُ وأعجبُ[3].

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 2/85.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/128، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/187.
(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/23.

نكتةُ تحديدِ المُدّةِ بستّةِ أيّامٍ في خلقِ السّماواتِ والأرضِ:

تعدّدُ حِكَمِ خلقِ السّماواتِ في ستّةِ أيّامٍ

لمّا كانَ اللّه تعالى قادرًا على أنْ يَخلُقَ السّماواتِ والأرضَ وما بينَهما في أقلَّ ممّا ذَكَرَ، بل في أقلَّ مِن لمحِ البصرِ، كانَ ذكرُ العددِ لحِكَمٍ منها: الإشعارُ بأنَّه تعالى قادرٌ مُختارٌ في أفعالِه، وفيه كنايةٌ عن قِصرِ الزَّمنِ الّذي كمُلَ فيه هذا الإبداعُ العظيمُ، وحثٌّ للعبادِ على التَّأنّي في الأمورِ، وأنَّ الشَّيءَ إذا عُمِلَ بالتّدريجِ كانَ أتقنَ[1].

دلالةُ العطفِ بالواو في: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾:

ذِكرُ الماءِ في بدايةِ الخَلقِ بيانٌ بتعلُّقِ حياةِ النّاسِ بهِ

قولُهُ: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾، إذ إنَّه لمّا كانَ الفعلُ ﴿وَكَانَ﴾ للماضي دلَّ على أنَّه ما كانَ تحتَ العرشِ خَلقٌ - قبلَ خلقِ السّماواتِ والأرضِ - إلّا الماءُ، وفيه دليلٌ على أنّ العرشَ والماءَ كانَا مَخلُوقَين قبلَ السّماواتِ والأرضِ. ودلالةُ العطفِ هنا بيانُ عظيمِ قدرتِهِ سبحانه عطفًا على بيانِ عظيمِ خلقِهِ، فالعرشُ مع كونِهِ أعظَمَ مِنَ السّماواتِ والأرضِ كانَ على الماءِ، فلولا أنَّهُ تعالى قادرٌ على إمساكِ الثَّقيلِ بغيرِ عَمَدٍ لَما صَحَّ ذَلِكَ، كما أنَّه تعالى أمسَكَ الماءَ لا على قَرارٍ، فاللّه مُمسِكُ كلَّ ذلك بقدرتِهِ، وكلَّما ازدادَتِ الأجرامُ كانَت أحوجَ إليه وإلى إمساكِهِ، كما أنَّ في ذِكرِ الماءِ بيانًا بتعلُّقِ حياةِ النّاسِ بهِ[2].

سرُّ الإضافةِ في: ﴿عَرۡشُهُۥ﴾:

تعظيمُ شأنِ العرشِ بالتّصريحِ بإضافتِهِ للهِ تعالى

لمّا كانتِ الإضافةُ هنا على معنى اللّامِ بمعنى مُلكِ اللّه تعالى للعرشِ وتخصيصِهِ بهِ سبحانه دلَّ على تعظيمِ العرشِ؛ لِما في التّصريحِ بإضافتِهِ للّه مِن معنى التّفخيمِ والتّشريفِ؛ ليدُلَّ على عظمةِ اللّه تعالى وكبريائِهِ وعظيمِ قُدرتِهِ.

دلالةُ اللّامِ في: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾:

أفادَتِ اللّامُ معنى التّعليلِ المجازيِّ، ولمّا كانَ ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ مُتعلِّقًا

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/187.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 12/330، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/380، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/319.

بالفعلِ ﴿خَلَقَ﴾ الّذي هو مِن صلةِ الموصولِ، دلَّ على أنَّ الصِّلةَ؛ أي: قولُهُ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ سببٌ للاختبارِ، فأفادَ أنَّ خلقَهُما لحكمةٍ بالغةٍ، ودلَّ كذلك على أنَّ في الكلامِ إيجازًا بالحذفِ على المعنى؛ أي: خلَقَ السّماواتِ والأرضَ، وما فيهما مِنَ المَخلوقاتِ الّتي مِن جُملتِها أنتُم، ورَتَّبَ فِيهما جميعَ ما تَحتاجونَ إليهِ لِيبلوَكُم، أيُّكم أحسَنُ عَملًا، فأفادَتِ اللّامُ أنَّ اللّه تعالى لم يخلقِ السّماواتِ والأرضَ، وما فيهما لأنفسِها؛ إنَّما خلقَها لِلمُمتحَنِ فيهما، ففي الكلامِ تكريمٌ للإنسانِ وتشريفٌ له[1].

تكريمُ الإنسانِ وتشريفُهُ، بأنْ خلقَ اللهُ لأجلِهِ السّماواتِ والأرضَ

الغرضُ مِنَ الاستعارةِ التّمثيليّةِ في: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾:

لمّا كانَ اللّه تعالى عالمًا بما يُسِرُّ النّاسُ وما يُعلنونَ، وهو علّامُ الغيوبِ، وكانَ الاختبارُ دالًّا على عدمِ علمِ المُخْبَرِ بالمخبَرِ عنهُ دلَّ على امتناعِ حقيقةِ الابتلاءِ، فإنَّه إنّما يفعلُ الابتلاءَ مَن يجهلُ حالَ مَن ابتلاهُ واختبرَهُ، فيختبرُهُ لِيَطَّلِعَ على ما لم يعلمْهُ مِن حالِهِ، ولمّا كانَ اللّه عالمًا بكلِّ شيءٍ لا تخفى عليه خافيةٌ، فلا يحتاجُ في علمِهِ بالأشياءِ إلى اختبارٍ وابتلاءٍ، جاءَ لفظُ الابتلاءِ على طريقِ الاستعارةِ التّمثيليّةِ، إذ شبَّهَ اللّه تعالى حالَهُ مَعَ العبادِ في تكاليفِهِ، وفي خلقِ المنافعِ لهُم مع تمكينِهِم مِنَ الطّاعةِ والمعصيةِ بحالِ المُختبِرِ مع المُختبَرِ، هل يَعملُونَ الصّالحاتِ، ويَشكرونَ فيُثابونَ أو يَعصونَ فيُعاقبُونَ؟! والمعنى: لِيُعامِلَكُم مُعامَلَةَ المُبتَلِي لأحوالِكُم كيفَ تَعملُونَ؟![2].

النّاسُ في ابتلاءٍ بينَ الطّاعةِ والثّوابِ، أو المعصيةِ والعقابِ

سرُّ مجيءِ الفعلِ ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ مُعلَّقًا باسمِ الاستفهامِ:

لمّا كانَ تعليقُ الفعلِ عنِ التّعديةِ باسمِ الاستفهامِ لا يكونُ إلّا مع أفعالِ القلوبِ دلَّ على أنَّ الفعلَ ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ مُضمَّنًا معنى العلمِ؛ لِما

مآلُ اختبارِ النّاسِ في الدّنيا ظهورُ حالِهِم وظهورُ علمِ اللهِ بِهِم

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 6/101، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/380، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/152، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/128، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/187.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/380، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/128، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/25، وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاويّ: 10/24.

في الاختبارِ مِن مَعنى العلم؛ لأنَّه طريقٌ إليه فهو مُلابِسٌ له، كما تقولُ: انظرْ أيُّهم أحسنُ وَجهًا؛ لأنّ النَّظرَ مِن طريقِ العلم، والمعنى: لِيختبرَكُم ويُظهِرَ علمَهُ في أعمالِكُم، ويحتملُ أن يكونَ الفعلُ ﴿يَبْلُوكُمْ﴾ قد سُلِكَ به طريقُ الاستعارةِ التَّبعيّةِ، بتشبيهِ الابتلاءِ بالعلمِ باعتبارِ أنَّ مآلَ الاختبارِ ظهورُ حالِ المُختبَرِ والعلمُ به[1].

الغرضُ مِنَ التّعبيرِ باسمِ الاستفهامِ ﴿أَيُّكُمْ﴾:

الاختبارُ في الدّنيا لتمييزِ النّاسِ على مبدأ الثّوابِ أو العقابِ

لمّا كانَ اسمُ الاستفهامِ (أيُّ) لعُمومِ السّؤالِ عمّا يميّزُ أحدَ المُتشاركَينِ في أمرٍ يَعمُّهما، دلَّ على أنَّ الاختبارَ لتمييزِ كلِّ إنسانٍ عنِ الآخرِ في العملِ الّذي يَعُمُّ النّاسَ جميعًا، ولمّا تَعلَّقَ ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ باسمِ الاستفهامِ دلَّ على أنَّ المعنى: أهَذا أحسَنُ عملًا أم هَذا، وفيه إيجازٌ؛ لإغنائِهِ عنِ التَّعدادِ، بأن يقولَ: أهذا أم هذا أم هذا أم هذا، وهكذا، ولم يقُلْ: (لِيبلوَكُم أيُّ أعمالِكُم أحسنُ) مع أنَّ الجزاءَ على الأعمالِ؛ لأنَّ الابتلاءَ لِلذّواتِ على ما يَرتكبونَهُ مِنَ الأعمالِ، كما أنَّ أثرَ الثّوابِ والعقابِ يكونُ لِلذّواتِ، فأفادَ اسمُ الاستفهامِ المضافِ إلى الذّواتِ في قولِهِ: ﴿أَيُّكُمْ﴾ أنَّ الاختبارَ للإنسانِ على أعمالِهِ، والجزاء له بالثّوابِ أو العقابِ.

نكتةُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿أَحْسَنُ﴾:

الحثُّ على محاسنِ الأعمالِ، والتّرقّي دائمًا في مَراتِبِ الكمالِ

لم يقُلْ: (أكثرُ عملًا)؛ لِلإيذانِ بأنَّ العِبرةَ بِحُسنِ العملِ لا بأكثرِهِ.

سرُّ التّعبيرِ بصيغةِ التّفضيلِ ﴿أَحْسَنُ﴾:

لمّا كانَت أعمالُ المؤمنينَ هي الّتي تتفاوتُ إلى حَسَنٍ وأحسَنَ، وكانَ الابتلاءُ شاملًا جميعَ المُكلَّفينَ مِنَ المؤمنينَ والكافرينَ باعتبارِ أعمالِهِمُ المُنقسمةِ إلى حَسَنٍ وقبيحٍ، ولمّا كانَ المتّقونَ هُم أحسن عملًا، وهُمُ الّذينَ استَبَقوا إلى تَحصيلِ ما هو مَقصودُ اللّه

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/380، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/187.

مِن عبادِهِ؛ خَصَّهُمُ اللهُ بالذِّكرِ، واطَّرَحَ ذِكرَ مَن وراءَهُم تَشريفًا لَهُم، وتنبيهًا على مكانِهِم منهُ، وعلى انحطاطِ مَنزلةِ المُسيئينَ، وليكونَ ذلك تَيقُّظًا لِلسّامِعينَ، وتَرغيبًا في حيازةِ فَضلِهِم، وأيضًا لِتحريضِ المُؤمنينَ على أحاسِنِ المَحاسِنِ، والتّحضيضِ على التَّرقِّي دائمًا في مَراتِبِ العلمِ والعملِ، أو يُقالُ: لمّا ذَكَرَ اللهُ تعالى أنَّه خلقَ السّماواتِ والأرضَ على النَّمطِ الرّائعِ، وأنَّه تعالى أبدعَ تلكَ البدائعَ في خلقِهِ مِن أجلِ ظُهورِ كمالِ إحسانِ المُحسِنينَ، اقتضى أن يكونَ العملُ بموجبِهِ بحيثُ لا يَحيدُ أحدٌ عن سَنَنِهِ المُستَبِينِ، بل يَهتدي كلُّ فَردٍ إلى ما يُرشِدُ إليهِ مِن مُطلَقِ الإيمانِ والطّاعةِ، وإنّما التّفاوتُ بينَهُم في مَراتِبِهما بحسبِ القُوّةِ والضَّعفِ، وأمّا الإعراضُ عَن ذلكَ والوقوعُ في مَهاوي الضَّلالِ فبمَعزلٍ مِنَ الوقوعِ، فَضلاً عن أن يَنتظمَ في سِلكِ الغايةِ لذلك الصُّنعِ البَديعِ، وإنَّما هُوَ عملٌ يَصدُرُ عن عامِلِهِ بسوءِ اختيارِهِ مِن غيرِ مُصحِّحٍ لهُ أو مُسوِّغٍ. ويحتملُ أن تكونَ صيغةُ التّفضيلِ ليسَت على بابِها؛ أي: بمعنى (حسن)؛ لِيشمَلَ الخطابُ جميعَ المُكلَّفينَ، ونكتةُ مجيءِ اللّفظِ بصيغةِ التّفضيلِ الحثُّ على عملِ الأحسنِ والمبادرةِ إليهِ في جميعِ الأعمالِ الحسنةِ[1].

الترغيبُ في الترقّي إلى مَدارِجِ الطّاعاتِ، والزّجرُ عن مُباشرةِ نقائضِها

نكتةُ التّنكيرِ في: ﴿عَمَلًا﴾:

لمّا كانَ اللّفظُ نكرةً في سياقِ الاستفهامِ دلَّ على عُمومِ العملِ؛ لِيشمَلَ عملَ القلبِ، وعملَ الجوارحِ، فالمرادُ مِنَ العملِ المفهومُ المُشتركُ بينَ عملِ القلبِ وعملِ الجارحةِ[2].

حُسنُ العملِ يشمَلُ عملَ القلبِ والجوارحِ معًا

سرُّ التّعبيرِ بالتّمييزِ في: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾:

أفادَ التّمييزُ هنا الإيجازَ في اللّفظِ؛ لأنَّ التّمييزَ هنا على معنى: أيُّكُم عملُهُ أحسنُ مِن عملِ غيرِهِ؟، كما أفادَ الإطنابَ مِن وجهٍ آخرَ

براعةُ التّمييزِ في الخطابِ في جمعِهِ بينَ الإيجازِ والإطنابِ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/128، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/126، والنّيسابوريّ، غرائب التّفسير: 4/8، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/188.

(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/128.

هو الإجمالُ بعدَ التّفصيلِ، فإنَّه لمّا قالَ: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ﴾ أجملَ في السّؤالِ عن وجهِ الأحسنيَّةِ، فلمّا ذَكَرَ التّمييزَ فصَّلَ الإجمالَ وبيَّنَهُ، ولا يَخفى حسنُ مَوقعِهِ؛ إذ بَرَزَ الكلامُ في مَعرِضِ الاعتدالِ نظرًا إلى إيجازِهِ في اللّفظِ مِن جهةٍ، وإلى إطنابِهِ لِلإجمالِ والتّفصيلِ مِن جهةٍ أُخرى[1].

دلالةُ الواو في: ﴿وَلَئِن﴾:

خلقُ السّماواتِ والأرضِ دليلٌ على حصولِ الحشرِ يومَ القيامةِ

تحتملُ الواو أن تكونَ عاطفةً، وبيانُ مُناسبةِ العطفِ مِن وجهين: أحدُهما: أنَّهُ لمّا كانَ الابتلاءُ يتضمَّنُ حديثَ البعثِ أتبَع ذلك بذكرِهِ، والثّاني: أنَّهُ لمّا بَيَّنَ أنَّهُ خَلَقَ هذا العالَمَ لأجلِ ابتلاءِ المُكَلَّفينَ وامتحانِهِم، كانَ هذا مُوجِبًا القَطعَ بِحُصُولِ الحَشرِ والنَّشرِ: لأنَّ الابتلاءَ والامتحانَ يُوجِبُ تَخصيصَ المُحسِنِ بالرَّحمَةِ والثَّوابِ، وتَخصيصَ المُسيءِ بالعِقابِ، وذلكَ لا يَتِمُّ إلّا مَعَ الاعترافِ بالبعثِ بعدَ الموتِ وبالقِيامَةِ[2]، أو يُقالُ: لمّا أخبرَ اللّه تعالى أنَّهُ خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ كانَ مِن حِكمةِ خَلقِ الأرضِ صدورُ الأعمالِ الفاضلةِ مِن أشرَفِ المخلوقاتِ فيها، ثمَّ إنَّ ذلك يقتضي الجزاءَ على الأعمالِ؛ إكمالًا لمُقتضَى الحِكمةِ؛ ولذلك أُعقِبَت بقَولِهِ: ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ﴾[3]. وتحتملُ الواو أن تكونَ حاليّةً؛ للإيذانِ بإقامةِ الحُجّةِ عليهم، وذلك ببيانِ حالةِ التّناقضِ الّتي هُم عليها، والتّعجيبِ مِن إنكارِهم وقولِهم الّذي قالُوهُ، والمعنى: إنّ اللّه ﷻ هذه صفاتُهُ، وهذه أفعالُهُ، والحالُ أنَّهُم يُنكِرُونَ ما هو دُونَ ذَلِكَ، وهو إعادَةُ خَلقِ النّاسِ، ويَجهَلونَ أنَّهُ لَولا الجَزاءُ لَكانَ هذا الخَلقُ عَبَثًا؛ أي: إنَّ هؤلاء بكفرِهِم في حَيِّزٍ، إنْ قلتَ لَهُم: إنّهُم مَبعوثونَ كَذَّبُوا،

(1) السّكّاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 284.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 7/13، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/187، والقنّوجيّ، فتح البيان: 6/145.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/6.

وقالُوا: هذا سِحرٌ، ففي الكلامِ توبيخٌ لَهُم، وتعجيبٌ مِن قولِهِم؛ لِتناقضِهم؛ إذ مَن كانَت هذه صفاتُهُ فهو قادرٌ على أن يبعثَكُم بعدَ موتِكُم، والحالُ أنَّكُم تُنكِرونَ البعثَ مِنَ القبورِ، وهو أيسرُ مِن خلقِ السّماواتِ والأرضِ بكثيرٍ؛ إذِ البداءةُ أعسَرُ مِنَ الإعادةِ، وخلقُ السّماواتِ والأرضِ أكبَرُ مِن خلقِ النّاسِ[1].

سببُ إيثارِ التّعبيرِ بأسلوبِ الشّرطِ:

لمّا كانَ الشّرطُ والجزاءُ على معنى تعليقِ تحقُّقِ الجزاءِ كلَّما تحقَّقَ الشّرطُ عُبِّرَ به هنا؛ لإفادةِ تَجَدُّدِ تكذيبِهم عِندَ كُلِّ إخبارٍ بالبَعثِ[2].

تجدُّدُ تكذيبِ الكافرينَ بالبعثِ عادةٌ مُستمرَّةٌ عندَهُم

الغرضُ مِن تتابعِ التّأكيدِ في الجملةِ الشّرطيّةِ:

لمّا أُكِّدتِ الجملةُ الشّرطيَّةُ باللّامِ المُوَطِّئَةِ لِلقَسمِ في قولِهِ: ﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾؛ لأنَّه بتقديرِ: واللهِ إنْ قلتَ إنَّكُم مَبعوثونَ مِن بعدِ الموتِ، وأُكِّدَت كذلك بنُونِ التَّوكيدِ في قولِهِ: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾، أفادَ تتابعُ التّأكيدِ تَنزيلَ السّامعِ مَنزِلَةَ المُتَرَدِّدِ في صُدورِ هذا القَولِ مِنهُم لِغَرابَةِ صُدورِهِ مِنَ العاقِلِ، فَيَكُونُ التَّأكِيدُ القَوِيُّ مُستعمَلًا في لازِمِ مَعناهُ، وهُوَ التَّعجيبُ مِن حالِ الَّذِينَ كَفَروا أن يُحِيلوا إعادَةَ الخَلقِ، وقد شاهَدوا آثارَ بَدءِ الخَلقِ، وهو أعظَمُ وأبدَعُ[3].

التّعجيبُ مِن حالِ المُكذِّبينَ بإعادةِ الخَلقِ، وهُم يُشاهدونَ آثارَ بدءِ الخَلقِ

بلاغةُ مجيءِ الشّرطِ على خلافِ مُقتضَى الظّاهرِ:

عُبِّرَ بأداةِ الشّرطِ (إنْ) الّتي تفيدُ في الأصلِ الخلوَّ عنِ الجزمِ بوقوعِ الشّرطِ، ولمّا كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُذكِّرُهُم دائمًا بالبعثِ بعدَ الموتِ، وبيومِ القيامةِ، دلَّ على مجيءِ الشّرطِ على خلافِ مُقتضَى الظّاهرِ، ونكتةُ التّعبيرِ بـ (إنْ) دونَ (إذا) تنزيلُ الكافرِ مَنزِلَةَ الجاهلِ لِعدمِ جريهِ على مُوجِبِ العلمِ، فإنَّهُم لمّا لَم يَنتفعوا بتذكيرِهِ

تنزيلُ الكافرِ مَنزِلَةَ الجاهلِ؛ لعدمِ جزْيِهِ على مُوجِبِ العلمِ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/153، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 9/240، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/8.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/9.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/9.

بالبعثِ بعدَ الموتِ، ولم يؤْمنوا بهِ، ولم يَعملوا بما يقولُ، كان قولُهُ ﷺ لَهُم بمثابةِ العدمِ، فتذكيرُهُ وعدمُ تذكيرِهِ لَهُم سواءٌ.

دلالةُ التّعبيرِ بضميرِ الخطابِ في قولِهِ ﴿إِنَّكُم﴾:

مَـدحُ مَـن آمـنَ باللهِ ورسولِهِ، بمُجـرَّدِ سماعِ الخطابِ

يُحتملُ أن يكونَ الخطابُ مُوجَّهًا في ﴿إِنَّكُم﴾ إلى جميعِ المُكلَّفينَ، بدلالةِ أنَّ الابتلاءَ لِجميعِ المُكلَّفينَ، فيكون الجوابُ المذكورُ بالموصولِ وصلتِهِ في قولِهِ: ﴿لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ للتّخصيصِ؛ أي: لَيَقولَنَّ الّذين كفروا مِنهُم، وسببُ التّخصيصِ التّصريحُ بتوبيخِهِم، وبيانُ أنَّ الصِّنفَ المقابلَ وهُمُ المؤمنونَ قد نجحوا في اختبارِهِم. ويحتملُ أن يكونَ الخطابُ مُوجَّهًا إلى الكافرينَ فقط؛ لِيكونَ واردًا على طريقةِ الذَّمِّ، ولِلإشعارِ بأنَّ المؤمنينَ قد آمنوا بمُجرَّدِ سماعِهِم الخطابَ، ولم يحتاجوا إلى تأكيدِ الأمرِ وتقريرِهِ[1].

الغرضُ مِنَ التّعبيرِ بالموصولِ وصلتِهِ:

المـنـسـوبُ إلى الكفرِ مَذمومٌ، ومصيرُهُ مَعلومٌ

لمّا قالَ تعالى: ﴿لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أفادَ أنّ الّذين قالوا هذا القولَ مَعروفونَ بكفرِهِم، وأنَّ جملةَ الصِّلةِ مَعلومةُ الانتسابِ إليهم، كما أفادَ التّعبيرُ أنَّ كفرَهُم هو السّببُ في إنكارِ البعثِ، وأفادَت جملةُ الصّلةِ كذلك ذمَّهُم وإهانتَهُم بنسبتِهِم إلى الكفرِ، لذا عَبَّرَ بالاسمِ الموصولِ لِيستدعيَ جملةَ الصّلةِ الدّاعيةَ إلى القولِ القبيحِ.

الغرضُ مِن حذفِ مُتَعَلّقِ الفعلِ ﴿كَفَرُوٓاْ﴾:

أقبحُ الكفرِ ما كـانَ سَجيَّةً، واستحكمَ لِيجرَّ صـاحـبَـهُ إلى التّكذيبِ عمدًا

يحتملُ أن يكونَ حذفُ مُتعلّقِ الفعلِ ﴿كَفَرُوٓاْ﴾ لإفادةِ العُمومِ؛ أي: إنّهُم كَفروا باللّه وبرسولِهِ وبجميعِ ما آمنَ بهِ المؤمنونَ؛ لِيدلَّ على عُمومِ كُفرِهِم، ويحتملُ أن يكونَ حذفُ المتعلّقَ لإفادةِ أنَّ الكُفرَ صارَ سجيَّةً لَهُم، فكلَّما تُلِيَ عليهم القرآنُ عَمدوا إلى تكذيبِهِ؛ تماديًا منهُم وعنادًا.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/188.

الغرضُ مِنَ التّعبيرِ بمَقولِ القولِ جملةً اسميّةً في السّياقِ:

البعثُ بعدَ الموتِ أمرٌ ثابتٌ، لا ريبَ فيهِ

قولُهُ: ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ﴾، فيه أفادَ مجيءُ الجملةِ الاسميّةِ ثبوتَ مَضمونِ الجملةِ؛ للإيذانِ بأنَّ البعثَ بعدَ الموتِ أمرٌ ثابتٌ مُقرَّرٌ، والإيمانُ بالبعثِ هو رأسُ الإيمانِ بالغيبِ ومركزُهُ، لذا احتيجَ الإيرادُ بجملةٍ تدُلُّ على الثّبوتِ والدّوامِ المُؤكَّدِ.

دلالةُ التّأكيدِ في: ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ﴾:

المُنكِرُ للبعثِ يحتاجُ إلى الأدلَّةِ الكثيرةِ، والمُتردِّدُ فيه يحتاجُ إلى أدلَّةٍ أقلَّ

جاءَتِ الجملةُ الاسميّةُ الدّالَّةُ على الثّبوتِ مُؤكَّدةً بـ (إنَّ)؛ للإيذانِ بأنَّهم كانوا مُنكرينَ للبعثِ، فاقتضى الخبرُ الإنكاريُّ التّأكيدَ بـ (إنَّ) والجملةِ الاسميَّةِ؛ ليردَّهُم عن إنكارِهُمُ البعثَ بعدَ الموتِ إلى الاعتقادِ بهِ، فمَن قويَ إنكارُهُ يحتاجُ إلى زيادةِ تأكيدٍ وتقريرٍ.

ويحتملُ أن يكونَ الخبرُ طلبيًّا؛ بأن تكونَ (إنَّ) هي المؤكَّدةَ دونَ الجملةِ الاسميّةِ، فيكون قد أقامَهم مَقامَ المتردّدِ المُتحيِّرِ في أمرِهِ لِقُربِ الأدلَّةِ على البعثِ من بعدِ الموتِ وظهورِها، ومِن تردُّدٍ يحتاجُ إلى تأكيدٍ أقلَّ مِنَ الأوّلِ[1].

سرُّ التّقييدِ بشبهِ الجملةِ:

مِن براعةِ القرآنِ الإخبارُ عن أطوارِ الحياةِ في أوجزِ العباراتِ

لمّا كانَ البعثُ المدلولُ عليهِ بقولِهِ: ﴿مَّبْعُوثُونَ﴾ بمعنى إحياءِ الموتى وتسييرهم إلى يومِ القيامةِ، أفادَ التّصريحُ بقولِهِ: ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ﴾ بيانَ غايةِ ابتداءِ البعثِ، وتذكيرَهُم بابتداءِ الغايةِ الزّمانيّةِ للمَوتِ[2]. كما أفادَ الإخبارَ عن أطوارِ الحياةِ كلِّها في أوجزِ لفظٍ وأخصرِهِ، إذ ذَكَرَ خلقَ السّماواتِ والأرضِ، وما بينَهُما، وخَلقَ العرشِ، وخَلقَ النّاسِ بما يدُلُّ عليهِ لفظُ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾، ثمَّ ذَكَرَ الموتَ والبعثَ، وأشعرَ كلُّ هذا بذكرِ الحسابِ والثّوابِ والعقابِ بما تقضيه الحكمةُ مِنَ الاختبارِ والامتحانِ.

(1) السّكّاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 170 - 171، والتّفتازانيّ، المطوّل، ص: 184 - 185.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/420.

دلالةُ (اللّام) في: ﴿ٱلۡمَوۡتِ﴾:

لمّا كانَ البعثُ لايكونُ إلّا للنّاسِ جميعًا، دلَّ على أنَّ (اللّام) عوضٌ عنِ المضافِ إليه، بمعنى مِن بعدِ موتِ النّاسِ، ففيه تخويفٌ وتحذيرٌ لِلكافرينَ لِعظمِ المَوقِفِ.

تخويفُ الكافرينَ وتحذيرُهُم مِن أبلغِ عاداتِ القرآنِ في الخطابِ

سرُّ العدولِ في قولِهِ ﴿لَيَقُولَنَّ﴾:

عَبَّرَ بـ ﴿لَيَقُولَنَّ﴾؛ والمعنى: لَيُجيبنَّكَ الّذين كفروا[1]، وفائدةُ العدولِ إلى القولِ الإشعارُ بأنَّ من عادتِهم أن يقولوا هذا القولَ، سواء أكان إجابةً عن قولٍ وُجِّهَ إليهم، ودُعُوا إلى الاعتقادِ بهِ أم لا.

مِن عادةِ الكافرينَ التّكذيبُ سواء أكانَ إجابةً عن دعوةٍ إلى الإيمانِ أم لا

دلالةُ التّعبيرِ بالمضارعِ في: ﴿لَيَقُولَنَّ﴾:

عُبِّرَ بالفعلِ المضارعِ المؤكَّدِ لإفادةِ تقريرِ استمرارِ قولِهم هذا وتجدُّدِهِ؛ إشعارًا بأنَّهم كانوا يَقولونَهُ عنِ اعتقادٍ ثابتٍ.

المقولاتُ الباطِلَةُ تُخلِّدُ التّشنيعَ على قائليها على الدّوامِ

الغرضُ مِنَ التّعبيرِ باسمِ الإشارةِ ﴿هَٰذَآ﴾:

عُبِّرَ باسمِ الإشارةِ (الّذي) لِلقريبِ؛ لِلإشعارِ بأنَّ الحقَّ؛ أي: قول الرَّسولِ أو القرآنِ أو الرّسول نفسه – على الاختلافِ في عودِ اسمِ الإشارةِ – قريبٌ منهم، فهو واضحٌ، ومع هذا يُنكِرونَ ويُكذّبونَ، ففيه معنى التّعجيبِ مِن قولِهم.

دلائلُ الحقِّ قريبةٌ مِن جميعِ النّاسِ، ولا عذرَ لِمَن يُكذِّبُ ويُنكِرُ

دلالةُ الجمعِ بيَن الكُفرِ والإنكارِ والتّكذيبِ:

في هذه الجملةِ جمعوا بينَ الكفرِ والإنكارِ والتّكذيبِ، فأثبتَ لَهُمُ الكفرَ في قولِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، ونَسَبَ إليهم الإنكارَ والتّكذيبَ في قولِهِ: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾، ففيه زيادةٌ في التّوبيخِ والتّقبيحِ.

مِن أقبحِ أوصافِ الكفرِ الإيغالُ في أبشعِ مُمارساتِ الضّلالِ

تنوُّعُ القراءاتِ القرآنيّةِ:

في قولِهِ تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾، قرأ حَمزَةُ والكِسائيُّ وخَلَفٌ (ساحِرٌ) بصيغةِ الفاعلِ، وقرأ الباقونَ ﴿سِحۡرٞ﴾[2]، ويختلفُ

مَن وَصَفَ الهدى المبين بأنَّه سِحرٌ، فهو كافرٌ

(1) رضا، تفسير المنار: 12/17.

(2) ابن مجاهد، السّبعة في القراءات، ص: 249، وابن الجزريّ، النّشر: 2/256.

المعنى باختلافِ المدلولِ عليهِ مِن اسمِ الإشارةِ: فإذا كانَ لفظُ ﴿هَٰذَآ﴾ إشارةً إلى القولِ المذكورِ؛ فالمعنى: قولُكَ إنَّنا مَبعوثونَ مِن بعدِ الموتِ كالسِّحرِ المُبينِ في الخديعةِ أو البطلانِ؛ أي: كما أنَّ السِّحرَ خديعةٌ وباطلٌ فقولُكَ كَذلكَ، أو المعنى: أنَّهُ كَلامٌ مِن قَبيلِ الأقوالِ الَّتي يَقولُها السَّحَرَةُ لِخَصائِصَ تُؤَثِّرُ في النُّفوسِ. وإذا كانَ (هذا) إشارةً إلى البعثِ المُستفادِ مِن قولِهِ تعالى: ﴿مَّبۡعُوثُونَ﴾، فالمعنى: إنِ البعثُ إلّا كالسِّحرِ في بطلانِهِ، ويحتملُ أن يكونَ إشارةً إلى القرآنِ؛ لأنَّهم عندَ سماعِهم ذلك تخلَّصُوا إلى القرآنِ؛ لإنبائِهِ عنِ البعثِ في كلِّ مَوضِعٍ، فعمَدُوا إلى تكذيبِهِ وتَسميتِهِ سِحرًا تماديًا مِنهُم في العِنادِ، وتفاديًا عن سَنَنِ الرَّشادِ، كأنَّه قِيلَ: لو تلوتَ عليهُم مِنَ القرآنِ ما فيهِ إثباتُ البعثِ لَقالوا: هذا المتلوُّ سِحرٌ. وعلى هذه الوجوهِ الثّلاثةِ يكونُ الكلامُ مِنَ التّشبيهِ البليغِ بحذفِ أداةِ التّشبيهِ ووجهِ الشّبهِ،

ويحتملُ أن يكونَ (هذا) إشارةً إلى الرّسولِ ﷺ، فيكونُ على سبيلِ المبالغةِ، بالإخبارِ عنِ الرّسولِ بالمصدرِ ﴿سِحۡرٞ﴾، كقولِهم: (رجلٌ عدلٌ)، ومَن قرأ: (ساحِرٌ) فالإشارَةُ بِقَولِهِ هذا إلى الرَّسولِ ﷺ المَفهُومِ مِن ضَميرِ ﴿قُلۡتَ﴾؛ أي: إنَّه يَقُولُ كَلامًا يَسحَرُنا بِذلكَ؛ أي: ما هو إلّا ساحرٌ، والسّاحرُ كاذِبٌ مُبطِلٌ، فيكون كلامُهُ باطلًا، وعلى هذه القراءةِ لا يُحمَلُ الكلامُ على التّشبيهِ البليغِ[1].

الغرضُ مِنَ التّعبيرِ بالكنايةِ:

في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ المرادُ من هذه

إنكارُ صدقِ القرآنِ أو الرَّسولِ إنكارٌ للبعثِ، وإنكارُ البعثِ إنكارٌ للقرآنِ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/128، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/188، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ، ص: 1027، والآلوسيّ، روح المعاني: 6/214، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/9.

الجملةِ إنكارُ البعثِ بطريقِ الكنايةِ الإيمائيَّةِ، وبيانُهُ: أنّه إنْ كانَ المدلولُ عليه مِن اسمِ الإشارةِ هو القول؛ فالمعنى: إنْ هذا القولُ إلّا سِحرٌ مبينٌ، بمعنى إنكارِ البعثِ؛ لأنَّ الجملةَ جاءَت على سبيلِ الرّدِّ على الدّعوةِ إلى الإيمانِ بالبعثِ بعدَ الموتِ، وفي هذا المعنى إشعارٌ بأنَّهم اعتادوا نسبةَ كلِّ شيءٍ إلى السِّحرِ، حتَّى الأشياءِ الّتي لا تحتملُ السِّحرَ، وهو الإخبارُ؛ لأنَّ السِّحرَ إنَّما يكونُ في تقليبِ الأشياءِ ظاهرًا، وأمّا فيما يُخبَرُ عن شيءٍ يكونُ فلا، ففيه تعجيبٌ مِن قولِهم، وتوبيخٌ لهم، إذ وَصفوا بالسِّحرِ ما لا يقعُ فيهِ أصلًا، وإنْ كانَ المدلولُ عليه هو القرآنَ أو الرّسولَ فقد أجابوا بما هو أعمُّ، فإنَّ إنكارَ صدقِ القرآنِ أو الرَّسولِ إنكارٌ للبعثِ، كما أنَّ إنكارَ البعثِ إنكارٌ للقرآنِ، فيدخل في إنكارِ صدقِ القرآنِ أو الرّسولِ إنكارُ وقوعِ البعثِ دخولًا أوّليًّا بالوجهِ البرهانيِّ؛ لمناسبةِ السّياقِ، وفيه بيانُ غلوِّهم في الكفرِ والتّكذيبِ[1].

سرُّ اصطفاءِ النّفي والاستثناءِ طريقًا لِلقَصرِ:

تخصيصُ القَصرِ بهم تعبيرٌ عن شدّةِ الإنكارِ

أفادَ القصرُ بـ ﴿إِنْ﴾ النّافية و﴿إِلَّا﴾ تأكيدَ القصرِ وتقريرَهُ؛ لأنَّ النّفيَ بـ (إنْ) أقوى مِنَ النّفي بـ (ما)؛ لِلإيذانِ بشدّةِ تكذيبِهم وإنكارِهم، وهو الطّريقُ الملائمُ للتّعبيرِ عنِ الإنكارِ.

الغرضُ مِنَ التّعبيرِ بأسلوبِ القصرِ في السّياقِ:

تهمةُ الكافرينَ محاولةٌ لِرَدِّ المؤمنينَ عن اعتقادِهم بالبعثِ

عَبَّرَ عن تكذيبِ الكافرين بأسلوبِ القصرِ؛ ليكونَ مِن قصرِ الموصوفِ على الصّفةِ، بمعنى تخصيصِ الموصوفِ المُشارِ إليهِ بـ ﴿هَٰذَآ﴾ بوصفِ السِّحرِ، وكأنَّه ليسَ له وصفٌ سواهُ على سبيلِ المبالغةِ في التّكذيبِ، وجاءَ القصرُ بأسلوبِ (إنْ) و(إلّا)؛ لِلإيذانِ بأنَّ الكافرينَ المُكذِّبينَ كانُوا يَعتقدونَ أنَّ المؤمنينَ مُخطئونَ في

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 6/101، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 8/23، والخفاجيّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 5/75.

اعتقادِهِم بالبعثِ بعدَ الموتِ، وأنَّهُم يجبُ أن يتخلَّوا عن إصرارِهم على الإيمانِ، ففي هذا الأسلوبِ مَدحٌ لِلمؤمنينَ بأنَّ الكافرينَ ما قالوا هذا القولَ إلّا لمّا رأوا المؤمنينَ مُعتقِدينَ بالبعثِ ثابتينَ على اعتقادِهِم[1].

(1) السّكّاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 294.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»